

Foundations of the social theory of Weber

Hadeer Hassan Jawad

E: hado4430@gmail.com

M.D. Mohammed Abdullah Al-Khalidi

mohammed.abdullah@coart.uobaghdad.edu.iq

University of Baghdad / College of Arts

Department of Philosophy

DOI: [10.31973/aj.v2i138.1739](https://doi.org/10.31973/aj.v2i138.1739)**Abstract:**

From the emergence of sociology to the contemporary period, social theory has been subjected to conflict and an intellectual crisis within the field of social research; this led to the emergence of a group of thinkers who sought to arrive at an approach to keep pace with the changes and changes taking place in social reality. Max Weber (1864-1920 AD) is one of the most important Tibetans who dealt with sociology. In his study of sociology, Weber discussed several categories that helped define the features of social theory through which he sought to build an ideal model that serves the phenomenon or cause to be discussed. Among the most important of these sayings: **understanding, meaning, causal interpretation, social action, ideal model, and finally social relationships.**

Keywords: The ideal model, social theory.

أسس النظرية الاجتماعية لفيبر

أ.م.د. محمد عبد الله الخالدي

الباحثة هدير حسن جواد

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الفلسفة

جامعة بغداد / كلية الآداب / قسم الفلسفة

mohammed.abdullah@coart.uobaghdad.edu.iqhado4430@gmail.com**(مُلخَصُ البَحْث)**

يدرس هذا البحث ماهية علم الاجتماع عند فيبر، وقد تطرقت فيه لدراسته لعلم الاجتماع لمقولات أساسية عدّة ساعدت في تحديد ملامح النظرية الاجتماعية التي سعى عن طريقها إلى بناء أنموذج مثالي يخدم عن طريقه الظاهرة أو القضية المراد بحثها. ومن أهم هذه المقولات: الفهم، والمعنى، والتفسير السببي، والفعل الاجتماعي، والأنموذج المثالي، وأخيراً العلاقات الاجتماعية. يحاول فيبر عن طريق أفكاره السوسولوجية إلى ربط الفلسفة النظرية بالممارسة الاجتماعية وذلك على وفق المنهج العقلاني الذي عدّ الركيزة الأساسية التي بنى عليه أفكاره. ويحاول عن طريق هذا البحث أن يبين ما تتركه الأفعال الإنسانية من أثر في الآخرين والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: الأنموذج المثالي، النظرية الاجتماعية، الفعل الاجتماعي.

المقدمة:

تعرضت النظرية الاجتماعية منذ نشوء علم الاجتماع وإلى المرحلة المعاصرة إلى صراع وأزمة فكرية ضمن مجال البحث الاجتماعي؛ مما أدى ذلك إلى ظهور مجموعة من المفكرين الذين سعوا إلى التوصل لمنهج يواكب التحولات والتغيرات التي يشهدها الواقع الاجتماعي. وبعد ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠م) من أهم الشخصيات التي تطرقت إلى علم الاجتماع. تكمن أهمية النظرية الاجتماعية لفيبر بكونها استجابة لفهم مشكلات الواقع الإنساني، وتتجلى أهمية البحث في تبيان الرؤية الفلسفية لسوسيولوجيا فيبر، وتبسيط الضوء على أهم المفاهيم التي أسهم بها فيبر في تطوير النظرية الاجتماعية.

النظرية الاجتماعية لفيبر:

في البدء لا بدّ من توضيح معنى النظرية الاجتماعية، إذ تعرف النظرية الاجتماعية بوصفها: "حكماً تقريرياً عاماً على ظاهرة اجتماعية" (ميل تشيرتون وأن براون، ٢٠١٢، صفحة ٢١). لا تكفّ النظرية بالوصف البسيط للوقائع وأنما تسعى إلى تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية بصورة دقيقة لتصل إلى التنبؤ بقانون يؤثر في السياقات الاجتماعية التي تحدث التغير الإيجابي لنوع الواقعة أو الظاهرة (ميل تشيرتون وأن براون، ٢٠١٢، صفحة ٢١). لذلك يسعى عالم الاجتماع عن طريق بحثه إلى أبعد من مجرد الوصف البسيط؛ وذلك من أجل أن يتوصل إلى درجة عالية من التحليل (ليلّة، ب.ت، صفحة ٢١). يتكون المجتمع من مجموعة من الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم بعض عن طريق سلوكهم وأفعالهم وأعمالهم، ويرى فيبر أن هذه الأفعال تمثل جوهر علم الاجتماع (حمداوي، ٢٠١٥، صفحة ١٢). يذهب فيبر إلى تعريف علم الاجتماع بأنه: "علم يهدف إلى فهم الفعل الاجتماعي بطريقة شارحة ويفسر بذلك أسبابه في تتابعه وتأثيراته" (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٢٨). ويعرف كذلك المجتمع بأنه: "نتاج لفعل الأفراد الذين يتصرفون تبعاً للقيم والدوافع وللحسابات العقلانية" (فياض، ٢٠١٨، صفحة ١٥).

يركز فيبر اهتمامه بدراسة وتحليل الأفكار والمعتقدات والدوافع التي تصدر عن الفعل الإنساني، وما تتركه من أثر في الآخرين والمجتمع (رينتشارد أوبزن وبورن فان لون، ٢٠٠٥، صفحة ٦٦). على الرغم من أهمية المؤسسات الاجتماعية في المجتمع إلا أن فيبر لم يركز على تحليل عملها وتداعياتها، إنّما ركز على فهم المعاني التي تنتج عن أفعال الأفراد في حياتهم اليومية. لذلك يعدّ فهم وتفسير معنى الفعل والتفاعل الاجتماعي الهدف الأساسي عند فيبر (مجموعة مؤلفين، ٢٠٠٢، صفحة ٥٧).

يُميز فيبر بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية أو الاجتماعية، ويرى أن "الوقائع الاجتماعية تختلف عن وقائع العلوم. الطبيعة من حيث القصد والمعنى المتضمن في

الأولى، والذي يرجع إلى طبيعتها الإنسانية. وهكذا، أن النشاط الإنساني يتجه في الأولى إلى الضبط، ويتجه النشاط الإنساني في الثانية إلى التقويم" (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ١٧). إنَّ غاية العلوم الطبيعية تكمن في أنَّها "تفهم الظواهر فقط من خلال القضايا الرياضية والقوانين التي تكتشفها عن الأحداث والوقائع الثابتة في الطبيعة. وبعبارة أخرى، إن هذه العلوم عليها أن تصطنع التجربة في كل تفسير تصونه لظواهرها لكي تحقق فهماً لهذه الظواهر" (محمد، ١٩٨٣، صفحة ٢٠٥).

يعتمد فيبير في دراسته للقضايا والظواهر الاجتماعية على الأحداث التاريخية؛ فعلم الاجتماع يهدف إلى توضيح المفاهيم النمطية، ويبحث عن القواعد العامة للحدث، وإنَّ هذه المفاهيم تستمد مادتها من حقائق الفعل التاريخية، ليقوم علم الاجتماع بصياغة مفاهيمه وقواعده عن طريق توضيحه للارتباط السببي للظاهرة الاجتماعية أو الثقافية. لذلك يشير فيبير إلى أنَّ غاية علم الاجتماع تتبلور من خلال توضيح معنى الظاهرة عقلاً، وكذلك دراسة الظاهرة اللاعقلانية وصياغتها في ضمن مفاهيم نظرية تطابق المعنى (فيبير، ٢٠١١، صفحة ٤٨).

يضيف فيبير أنَّه من خلال التاريخ يمكن معرفة كلِّ تفاصيل الأحداث الخاصة والعامة، وتعدَّ العلوم الاجتماعية ذات جوهر ثقافي "إذ هي تسعى إلى فهم وتفسير منتجات الإنسان من خلال التاريخ، وليست هذه المنتجات هي الفنون فحسب، وإنما تشمل أيضاً القوانين، والنظم. والأنظمة السياسية والاقتصادية والعلم والموسيقى" (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٢٥).
يعلل فيبير سبب استعماله لمفهوم العلوم الثقافية بدلاً من العلوم الروحية التي تركز على أعمال الفرد الداخلية، إذ يرى أنَّ السوسولوجيا تمثل "علم طبيعي للثقافة أو علم نظري للثقافة يهدف إلى بلورة افتراضات عامة من خلال التأثير الفردي التاريخي والذي يتشكل في الأساس عن طريق ظواهر وقوانين طبيعية" (عدنني، ٢٠١٣، صفحة ١٢٣).

أشار فيبير إلى ضرورة استبعاد القيم عن الدراسات الاجتماعية؛ فلا بدَّ لعالم الاجتماع بوصفه باحثاً موضوعياً عليه أن يتحرر من كلِّ القيم، ولاسيما العاطفية التي قد تؤثر في فكره، لذلك عليه أن يتخذ موقفاً محايداً تجاه بحثه أو دراسته (القصير، ب.ت، صفحة ٥٠).
في الوقت نفسه، يرى فيبير أن هذا لا يعني أن يتخلَّى الباحث الاجتماعي عن قيمه بصورة نهائية؛ وذلك لأن الباحث أو العالم هو إنسان ويمتلك مجموعة من القيم والمبادئ التي تؤثر في سلوكه وأفعاله في المجتمع الذي يعيش فيه، وعليه أن يتجرد من هذه القيم فقط عند دراسته لأي ظاهرة اجتماعية (عدنني، ٢٠١٣، صفحة ١٢٣).

يضع فيبر مجموعة من المقولات المنهجية التي تبين نظريته في علم الاجتماع، ومن أهم هذه المقومات: الفهم، والمعنى، والتفسير السببي، والفعل الاجتماعي، والأنموذج المثالي، وأخيراً العلاقات الاجتماعية.

يعني فيبر بالفهم بأنه تحليل وتفسير السلوك الإنساني، ويرمي عن طريقه إلى معرفة الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى حدوث الظاهرة الاجتماعية. فضلاً عن ذلك، يقوم الفهم بإدراك المعاني الذاتية للأفعال الإنسانية، لذلك يسعى إلى الفهم السببي الذي يلائم المعنى (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٢٦).

يمكن أن نفهم الفعل الذي يتسم بالمعنى، لذلك يرى فيبر أن كل تفسير سوسولوجي يسعى إلى تحقيق الفهم الذي يتميز بالوضوح (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٢٩). يتحقق الفهم عن طريق تحليل مجموعة من الأحداث وتفسيرها على أساس التعميمات التي توضح سبب ظهور هذه الأحداث. ويتحقق الفهم على مستوى المعنى من خلال الوعي المباشر لأفعال الإنسان (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٢٦).

نلاحظ أن فيبر يركز على الفهم الذاتي للمعنى؛ وذلك لأن "السلوك الخالي من المعنى يظل دائماً على هامش الدراسة السوسولوجية، إذ أن الفهم منهج للتفسير، لأنه يتعلق بالإنسان أكثر من أي شيء آخر، فالإنسان هو القادر على فهم مقاصده الخاصة بواسطة الاستبطان، وهو كذلك الذي يستطيع أن يفسر دوافع الآخرين عن طريق معرفة مقاصدهم" (محمد، ١٩٨٣، صفحة ٢١٠). لذلك يرى فيبر أن الباحث أو العالم الاجتماعي يسعى عن طريق الفهم التفسيري إلى معرفة الدوافع والمقاصد التي تصدر من السلوك الإنساني، وذلك من أجل فهم أسباب الفعل الذي يعبر عن المعنى الذاتي لسلوك الإنسان (إبراهيم عثمان وسالم ساري، ٢٠١٠، صفحة ١٠٠).

يعتمد فيبر على الفهم المنهجي الذي يركز على تفسير الظاهرة ذاتياً، فالظاهرة تعدّ منهجية لأنها "تعتمد على فهم الظواهر داخل إطارها الاجتماعي ثم تفسيرها، ذلك أن الملاحظ لا يمكنه الإحاطة بظاهرة ما من خلال مراقبتها من الخارج فقط،...، يعني متابعة مسار الظاهرة الاجتماعية، وذلك من خلال متابعة ومراقبة الدوافع التي أدت الدور الرئيس في إنتاج نشاط ما" (عدني، ٢٠١٣، صفحة ٢٩). لهذا السبب عدّ فيبر منهج علم الاجتماع الفهم منهجاً عقلانياً، وعدّ هذه العقلانية مجرد وسيلة منهجية وليست حكماً بعقلانية علم الاجتماع (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٢٩). يشير فيبر إلى أن المعنى يأتي على ثلاث صور، وهي:

١. يتمثل النوع الأول لفعل من موقف تاريخي حقيقي.
٢. يظهر النوع الثاني عن طريق معنى مقصود من مجموعة الفاعلين للفعل.

٣. وأما النوع الأخير، فيعبر عن المعنى الذاتي المجرد المقصود، ويظهر نتيجة لفعل سلوك صور، فرديّ أو مجموعة من الأفراد (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٢٩).

يوضح فيبر معنى الذاتيّ الذي يشير به إلى "المعنى الذي يحمله الفاعل للفعل، وهو المعنى الذي يجب على العالم المجتهد أن يسعى للوصول إليه وفهمه" (زايتان، ١٩٨٩، صفحة ٢٨١). إنَّ أعلى درجات الفهم الذي تصل إليه الظاهرة الاجتماعيّة هو الفهم السببيّ الذي يتناسب مع المعنى (محمد، ١٩٨٣، صفحة ٢٠٠). يقصد فيبر بالتفسير السببيّ بأنّه: "إثبات يعقب حديثاً معيناً تتم مراقبته (داخلياً أو خارجياً) حدث آخر معين (أو قد يأتي متزامناً معه)" (فيبر، ٢٠١١، الصفحات ٣٧-٣٨).

يسعى فيبر من خلال السببيّة إلى دراسة تطور الظاهرة الاجتماعيّة من الناحيّة الفرديّة التاريخيّة؛ وذلك لأن فيبر يؤمن بأنَّ على "الباحث التاريخي يجب أن يهتم بالذات، ذات المسؤول الذي يؤثر في اتخاذ القرارات، وأن يحل محل الفاعل نفسه من أجل فهم المعنى الذاتي" (عدني، ٢٠١٣، الصفحات ١٦-٤٣).

ويبين فيبر أنَّ السببيّة في علم الاجتماع تخضع الفعل الاجتماعي للملاحظة، ويرى أنَّ الباحث الاجتماعي لا يركز اهتمامه فقط على فهم المعتقدات والسلوك، وإنّما يوضح كيف تحدث كلّ هذه الأشياء، وكيف أنَّ طريقة للتفكير تحدد سلوكاً ما. فضلاً عن ذلك، إنَّ العلاقات السببية في السوسيولوجيا لا تحكمها القوانين وأنّما تحكمها الترابطات والتواصلات السببيّة الواقعيّة (عدني، ٢٠١٣، الصفحات ٤٤-٤٥). يذكر فيبر أنَّ التحليل السببيّ يتميز بإتجاهين أساسين وهما:

١. الإتجاه التاريخي: الذي يحدد الظروف الفريدة التي أدت إلى إنتاج ظاهرة.
٢. الإتجاه السوسيولوجي: الذي يفترض تأسيس علاقة منظمة بين ظاهرتين (عدني، ٢٠١٣، الصفحات ٤٥-٤٦).

يرى فيبر أنَّ التفسير السببيّ الصحيح لفعل ما يدل على التطابق بين الطريق الخارجي والدوافع، ويمكن معرفة وفهم معنى كلّ منهما بوضوح. واما التفسير السببيّ لفعل نمطيّ مفهوم فأنّه يشير إلى المسار الذي يتجه إليه الفعل النمطيّ الذي يتطابق في المعنى والسبب. وعندما يكون المعنى في حالة عدم التطابق فأنّه يصبح غير مفهوم، حتى لو توافرت فيه أي احتماليّة تثبت انتظام تتابع الحدث الداخليّ أو الخارجيّ (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٣٨).

يبين فيبر أنّه على الرغم من وجود تطابق في المعنى إلا أنَّ ذلك "لا يعني بالنسبة للمعارف السوسيولوجية مقولة صحيحة سببياً إلا بالقدر الذي يمكن معه تقديم الدليل على وجود فرضية (يُعبّر عنها بأي طريقة) أن الفعل يسير فقط في المسار الذي يبدو متطابقاً مع

المعنى بتكرارية يمكن إثباتها، فمثل تلك الأمور الإحصائية المنتظمة فقط، التي تتطابق مع معنى مقصود ومفهوم لفعل اجتماعي، هي التي تمثل، أنماط فعل مفهومة، أي: ((قواعد سوسيوولوجية))" (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٣٨).

الفعل الاجتماعي وأنواعه:

يعدّ الفعل الاجتماعي من المفاهيم التي بنى عليها فيبر نظريته للواقع الاجتماعي (فياض، ٢٠١٨، صفحة ٢٥). يعرف فيبر الفعل الاجتماعي بأنه الفعل الذي يدل على أفعال السلوك الإنساني مع ذاته والآخرين، سواء أكانت هذه الأفعال داخلية أم خارجية (فيبر، ٢٠١١، الصفحات ٢٨-٢٩). ويشير فيبر إلى الفعل الاجتماعي بأنه الفعل الذي "يمكن توجيه تبعاً للسلوك الماضي أو الحاضر أو المستقبل المتوقع من الآخرين، وهؤلاء الآخرين يمكن أن يكونوا فرادى ومعارف أو عديداً من الأشخاص غير محدودي العدد وغير معروفين تماماً" (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٥٠).

يركز فيبر اهتمامه على دراسة الفرد بوصفه كائناً فعالاً في المجتمع، لذلك يصف السوسيوولوجيا بالفهم لأنها "تقوم بتحليل تحركات وتصرفات الفاعلين الاجتماعيين وتفسيرها وتفسير التعاقدات والمواثيق المبرومة بينهم وهو ما يسميه فيبر بـ ((الفعل الاجتماعي))" (عدنني، ٢٠١٣، الصفحات ٥٥-٥٦). ينتقل فيبر من خلال دراسته لعلم الاجتماع من الموضوع إلى الذات، أي أنه تحول إلى دراسة الظاهرة الاجتماعية من عالم الأشياء الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية، لهذا السبب يركز اهتمامه على الفعل الاجتماعي الذي يتحقق عن طريق التفاعل الذي يحدث بين الفرد والآخرين (فياض، ٢٠١٨، صفحة ١١).

يهتم فيبر كذلك بالفردانية ويعدها أساساً لعلم اجتماع الفهم الذي يتحقق بوساطة الأفراد، ويرى أنّ الفردانية هي "فعل يكون ((اجتماعياً)) بمقدار ما يكون متعلقاً بسلوك الآخر موجهاً بالقياس إليه في تنفيذه وبحكم الدلالة الذاتية التي ينطويها الأفراد بأفعالهم، فإن الفعل الفردي يأخذ بالحسبان سلوك الآخرين ويتأثر به" (فلوري، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧).

يرى فيبر أنّ الأفعال الداخلية والخارجية ليست جميعها تعبر عن الفعل الاجتماعي، فالفعل الداخلي يعدّ فعلاً اجتماعياً عندما يتجه نحو سلوك الآخرين. أما الفعل الخارجي فيعدّ فعلاً اجتماعياً عندما يتجه نحو توقعات سلوك بعض العناصر المادية، كالعامل الاقتصادي الذي يمارسه شخصاً ما فإنه يكون فعلاً اجتماعياً، إلا إذا كان العمل يهدف إلى الاهتمام باحترام سلوك الشخص الآخر، لذلك ليست كلّ الأفعال التي تحدث بين الأفراد هي أفعال اجتماعية، لكنها تكون ذات طابع اجتماعي عندما يتجه السلوك الفردي تجاه سلوك الآخرين. على سبيل المثال: التصادم الذي يحدث بين دراجتين هو حادث طبيعي، لكن محاولة سائق

الدراجة بتجنب الاصطدام عن طريق الابتعاد عن الذم أو الجدل أو العراك؛ تعبر عن الحدث بوصفه فعلاً اجتماعياً (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٥١).

فضلاً عن ذلك، لا يعدّ فعلاً اجتماعياً عندما يعبر عن الهدف الذاتي، بينما يصبح اجتماعياً عندما يحمل في ذاته تأثير مباشر تجاه الآخرين، أي وجود علاقة تأثر وتأثير في ضمن مجال التفاعل الاجتماعي (حمداوي، ٢٠١٥، صفحة ١٤). إنَّ أهم المرتكزات الأساسية التي يحددها فيبر لسوسيولوجيا الفعل، وهي:

١. إنَّ أي ظاهرة اجتماعية كيفما كانت هي بالضرورة نتيجة لنشاط، لسلوك، لمعتقد، أي بصفة عامة لمعتقد فرديّ.

٢. إنَّ السوسيولوجي الذي يريد تفسير ظاهرة اجتماعية ما، يجب أن يجد ويتوصل إلى فهم معنى السلوكات الفرديّة (عدنني، ٢٠١٣، صفحة ٦٧).

يختلف إدراك الإنسان للمعنى باختلاف أنواع الفعل الاجتماعيّ، وعلى هذا الأساس يقسم فيبر أنواع الفعل الاجتماعيّ على أربعة أفعال، وهي على النحو الآتي (محمد، ١٩٨٣، صفحة ٢١):

١. **الفعل العقلانيّ الغائيّ:** هو الفعل الذي توجهه الغايات والوسائل التي تتسم بالوضوح (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٤٩). يكون الفرد في ضمن الفعل العقلانيّ مدرّكاً لأفعاله؛ وذلك لأن هذه الأفعال تصدر عن العقل، لذلك يكون الفعل العقلانيّ هو "الفعل الذي توجهه القيم الذاتية والخاصة التي يدركها الفاعل بأنها متضمنة في الهدف الذي يسعى إلى إنجازه وعليه يعمل كل ما في وسعه من أجل اختيار الوسائل،... الأكثر كفاءة" (رورو نوري نورالدين ومحمدي كمال، ب.ت). فالفاعل يعمل على التوفيق بين الغاية والوسيلة التي تحقق هدفه بطريقة عقلانيّة، ومن صور هذا الفعل اختيار الضابط العسكريّ لأفضل الخطط التي تحقق الانتصار (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٤٩).

٢. **الفعل العقلانيّ القيميّ:** هو الفعل الذي يتحدد بالاعتقاد الواعي في قيمة بعض الصور الأخلاقيّة والجماليّة والدينيّة للسلوك (مجموعة مؤلفين، ٢٠٠٢، صفحة ٥٧). لا يركز الفرد في ضمن هذا الفعل على النتائج أو النجاح الذي ينتج عن القيام بهذا الفعل، وإنّما يعدّه مجرد أمر أو واجب فرضتها عليه القيم والمعايير الاجتماعيّة (فيبر، ٢٠١١، الصفحات ٥٤-٥٥).

٣. **الفعل العاطفيّ:** هو الفعل الذي يعبر عن الحالات الشعوريّة الخاصة. ولا يركز الفاعل على تحقيق النجاح، وإنّما يهتم بصورة الفعل التي تظهر كما هي عليه، فالفرد الذي يقوم بفعل إنفعاليّ فأنّه يسعى إلى تحقيق رغبة خاصة كـرغبة الانتقام أو التأمل الروحيّ أو التعبير عن مشاعر خاصة لحالة معينة أو موقف محدد (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٥٤).

٤. **الفعل التقليدي**: هو الفعل الذي يصدر عن العادات والتقاليد التي تسود في المجتمع أو البيئة التي يعيش فيها الفاعل، لذلك يعدّ تعبيراً عن ردّ فعل تعود الفرد على ممارسته (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٥٠).

يوضح فيبر عن طريق هذه الأفعال أنّ فعل الفرد يتحول إلى فعلاً اجتماعياً عندما تحكمه القوانين العقلانية التي تعمل على توجيه السلوك الإنساني لدرجة تصبح أفعال الفرد محددة بصورة ذاتية وعقلانية وذلك من أجل أنّ تحقق غاية معينة، لذلك يرتب فيبر الأفعال الاجتماعية بدءاً من الفعل الأكثر عقلانية إلى الأقل عقلانية، وإلى الفعل المجرد العادي، فالفعل العقلاني الغائي والقيمي لا يتعرضان لأي مشكلة لأنهما يفسران صورة من صور النشاط الفردي بصورة واضحة وغاية مفهومة، بينما يعدّ الفعل العاطفي والفعل التقليدي مجرد أفعال محدودة تتعلق بالفرد؛ لأنها تعبر عن تصرف عادي للموقف الذي يعتمد على الحالة الشعورية أو التقليدية للفاعل (عدنني، ٢٠١٣، الصفحات ٥٨-٦١).

يشير كذلك إلى اختلاف المعنى في هذه الأفعال، ففي حالة الفعل العقلاني يكون المعنى في أعلى درجات الفهم؛ لأنه يعبر عن القضايا التي تكون واضحة. أما في حالة الفعل العاطفي يجري أدراك المعنى عن طريق الحالة الشعورية للموقف. وأما ما يخص الفعل التقليدي فإن أفعاله تكون خالية من المعنى؛ وذلك بسبب التعود على ممارسة السلوك الذي يؤدي إلى فقدان الفعل لمعناه (ريكمان، ١٩٧٩، الصفحات ٣٠-٣١).

يرى فيبر أنّ الأفعال غير العقلانية تعدّ السبب الذي يؤدي إلى "الإنحراف في الفعل الواقعي عن الطريق الذي حدده ذلك النمط المركب،...، كما أنه عندما نقارن بين الفعل الواقعي والفعل المفترض نستطيع أن نفهم الطريقة التي يتأثر بها الفعل الواقعي بالعوامل غير الرشيدة كالعواطف والأخطاء وهي على النحو مسئول عن الإنحراف" (أبوعلي، ١٩٧٨، صفحة ٢٠٢).

يذهب فيبر إلى القول: "إن الرؤية العلمية التي تهدف إلى بناء الأنماط فيتم بحث وعرض جميع سياقات معنى السلوك سواء العقلانية منها أو الانفعالية التي تؤثر في الفعل كأوضح ما تكون بوصفها ((انحرافات)) عن مساره المركب العقلاني البحث" (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٣١).

على سبيل التوضيح يشير فيبر إلى حالة الخوف التي تنتاب الفرد بسبب البورصة، فمن الناحية العلمية لا بدّ أولاً إثبات كيف كان يسير الفعل في حالة عدم وجود المؤثرات العاطفية غير العقلانية، ثم اختيار الوسائل العقلانية التي تناسب الفعل، وذلك من أجل تحويل الإنحراف إلى الأمور غير العقلانية التي أدت إليها، لذلك يتوصل فيبر إلى نتيجة مفادها أنّ الفعل العقلاني البحث هو من يخدم علم الاجتماع؛ لأنه يتميز بالوضوح والفهم،

وكذلك يترتب بالعقلانية التي ساعدت في بناء الأنموذج المثالي الذي يهدف إلى فهم الفعل الحقيقي من دون أن يتأثر بالأفعال غير العقلانية التي تمثل إنحراف مسار الفعل العقلاني (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٣١). إن أنواع الأفعال الاجتماعية - كما يرى فيبر - تعبر عن الأنموذج المثالي للفعل (إبراهيم عثمان وسالم ساري، ٢٠١٠، صفحة ٩٩).

يعدّ الأنموذج المثالي من المقولات الأساسية لعلم الاجتماع. إذ يرى فيبر أن العالم الاجتماعي عليه أن يبحث عن منهج يكشف ويوضح عن طريقه الفهم السببي للظاهرة والواقع الاجتماعي بصورة واضحة، وتتمثل صورة هذا المنهج عن طريق بناء الأنموذج المثالي (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٣٣). نظرًا لذلك يسعى فيبر عن طريق هذا الأنموذج المثالي إلى تفسير الظاهرة تفسيرًا سببيًا، ويوضح العوامل المختلفة والمتشابهة بين الظواهر. فالأنموذج يعدّ بناءً علميًا يصف الظاهرة ويفسرهما من أجل الوصول إلى الحقيقة (حمداوي، ٢٠١٥، صفحة ١٨).

يشير فيبر إلى أن أنواع السلوك الاجتماعي كالسلوك العقلي واللاعقلي والعاطفي، فأنها تعبر عن أفكار عقلية مثالية. إلا أنها لا تصدر من واقع الحياة الاجتماعية أو تعبر عن الماهيات المجردة كمثّل أفلاطون، وإنما هي نماذج تشتق من الحقيقة التاريخية، لذلك نجد أن علم الاجتماع الفيبري يركز على أنواع الفعل الاجتماعي التي تحدد طبيعة أفكار الإنسان ومواقفه وسلوكه مع الآخرين والمجتمع (حمداوي، ٢٠١٥، صفحة ٢٨).

تكمن غاية الأنموذج المثالي في أنه يوضح العلاقة التي تجمع بين الوسيلة والغاية للفعل والاحداث وعملية تفسير الأفكار، ويمكن للباحث الاجتماعي أن يكشف عن الأفكار الجزئية والتفسيرات التي تكون غير قابلة للفهم ليجولها إلى مصطلحات مفهومة وذات معنى. نظرًا لذلك عدّ فيبر الأنموذج تعبيرًا عن العقلانية في علم الاجتماع (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٣٤). يذكر فيبر قائلاً "بأن بناء نمط عقلي خالص للفعل، يخدم عالم الاجتماع كنموذج، بحيث أن المقارنة على أساسه تجعلنا نفهم الطرق التي يتأثر من خلالها الفعل الواقعي بعوامل غير عقلية من كل الأنواع" (محمد، ١٩٨٣، صفحة ٢١٥).

يشير فيبر إلى مجموعة من الخصائص التي يتصف بها الأنموذج المثالي لعلم الاجتماع، وهي:

١. يساعد في تطوير مهارات البحث.
٢. يساعد في تحديث الفروض وإعادة صياغتها.
٣. لا يستغنى عنه في العرض أو التفسير.
٤. على الرغم من أنه لا يصف الواقع، إلا أنه يهدف إلى تقديم الوسائل الواضحة التي تعبر عن هذا الوصف.

٥. يؤلف بين ظواهر عدة مختلفة ثم يرتبها بصورة تحليلية منطقية.
٦. لا يقصد بالمثالية هنا أي مضمون أخلاقي يتعلق بالخير أو الحق (ريكمان، ١٩٧٩، الصفحات ٣٥-٣٦).

يعدّ الأنموذج المثاليّ عند فيبر منهجاً يقوم بوصف وتقييم الوقائع الاجتماعية، لذلك هو "وسيلة موجهة نحو توضيح معنى الموضوع قيد الدراسة، أي إجراء منهجي خالص يطوره الباحث إرادياً وفقاً لحاجات البحث، ويمكن أن يتخلى عنه إذا لم يؤدّ وظيفته أو يشبع توقعاته" (فياض، ٢٠١٨، صفحة ٣٦). فضلاً عن ذلك، يتطرق علم الاجتماع الفيبري إلى مفهوم العلاقات الاجتماعية. يذهب فيبر إلى تعريفها بأنها: "تصرف مجموعة من الأشخاص في تتابع متوافق بصورة تبادلية تبعاً لمعناه ومتوجه وفقاً لهذا المعنى" (فيبر، ٢٠١١، صفحة ٥٦). يرى فيبر أنّ البناء الاجتماعيّ يعتمد على الفعل الاجتماعيّ والعلاقات الاجتماعية وعلاقة التبادل بين المؤسسات الاجتماعية وتفسيرها في ضمن المجال الاجتماعيّ ومسارها التاريخيّ (صديق، ٢٠١١، صفحة ٣٣٣). ففي أي مجتمع ما تنشأ علاقات التفاعل بين الأفراد، وكلّ هيئة أو مؤسسة تسعى إلى النجاح عليها أنّ تعمل على تنظيم علاقاتها الاجتماعية (عدنني، ٢٠١٣، صفحة ٢٨).

يبين فيبر أنّ المعنى الذاتي للعلاقات الاجتماعية يختلف بين الجماعات التي تتجه للتبادل في أي علاقة اجتماعية كالصداقة والحب والولاء والوظيفة وغيرها، فهي علاقات تختلف من فرد إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى، وحتى على المجال السياسي يتغير المعنى الذاتي للعلاقات؛ وذلك لأنها تقوم في البداية على التضامن لكنها تتحول إلى علاقة صراع من أجل المصالح الشخصية (محمد، ١٩٨٣، صفحة ٢٣٠).

تتسم العلاقات الاجتماعية بأنها ذات طبيعة مؤقتة وتباين باستمرار، فقد تتكون علاقات اجتماعية جديدة، أو تكتسب العلاقات القديمة معنى جديداً للعلاقة (ريكمان، ١٩٧٩، صفحة ٥٢). يميز فيبر في دراسته للتنظيمات الاجتماعية بين نوعين أساسيين من المجتمعات، وهما:

١. المجتمعات المفتوحة: هي المجتمعات التي تقبل عضوية الأفراد الجدد والانتساب إليها، فهي مجتمعات تتّصف بسهولة الحصول على العضوية فيها والتحول إلى أعضاء مساهمين وفعالين فيها.
٢. المجتمعات المغلقة: هي عكس المجتمعات المفتوحة، لأنها تحافظ على أفرادها ولا تقبل بالأعضاء الجدد، ولا تسمح لغير أعضائها الأصليين بالانتساب إليها أو الدخول فيها، ولا ترضى بأعضاء مشاركين أيضاً إلا من ولدوا فيها ونشؤوا في ظروفها، والتزموا

بنظامها الخاص، مثل الطوائف الهندية التي تتغلق على من يولد فيها (أحمد الأصفر وأديب عقيل، ٢٠٠٢، صفحة ٩٩).

وأخيراً، يشير فيبر إلى مفهوم المكانة الاجتماعية، إذ يرى أنّ هناك اختلافاً بين الطبقات الاجتماعية من حيث مراتبها. لذلك يذهب إلى التمييز بين المكانة في المجتمعات التقليدية والمكانة في المجتمعات الحديثة. تتميز مكانة الفرد في المجتمعات التقليدية بأنّها تعرف من خلال التفاعلات التي يشارك فيها الفرد بصورة مباشرة كحضور كلّ المناسبات، أما المكانة مع المجتمعات الحديثة فأصبحت تعرف من خلال علامات وصور عدّة تساعد في تحديد المكانة كالمسكن والملبس والمهنة (غدنز، ٢٠٠٥، صفحة ٣٤٩). يضيف فيبر بأنّ المكانة الحديثة قابلة للتغير بصرف النظر عن الطبقة التي ينتمي إليها الفرد؛ وذلك أنّ كثيراً من الأشخاص قد يتمتعون بمكانة عالية في مجتمعاتهم حتى بعد تبديد ثروتهم أو زوالها، كما أنّ جماعات أخرى قد تتمتع بهذه المكانة العالية بسبب ما لديهم من علم أو ثقافة أو أداء مهني متميز دون أن يرتكز وضعهم العام على أسس مادية أو طبيعية" (غدنز، ٢٠٠٥، صفحة ٣٤٩).

الخلاصة:

تميزت سوسيولوجيا فيبر عن غيره من السوسيولوجيين بأنّه نقل علم الاجتماع من الذات إلى الموضوع، بمعنى أنه درس الظاهرة الاجتماعية من عالم الأشياء الموضوعية إلى دراسة الأفعال الذاتية للإنسان.

وبناءً على ما سبق، نجد أنّ فيبر قد تطرق لمعاني أو مقومات اجتماعية عدّة، سعى من خلالها إلى توضيح أثر السلوك الإنساني على ذاته والآخرين والمجتمع، ومن أهم هذه المقومات: الفهم والمعنى والتفسير والأفعال الاجتماعية والأنموذج المثالي والعلاقات الاجتماعية.

يحاول فيبر بناء نظرية اجتماعية على أساس الأنموذج المثالي العقلاني؛ وذلك من أجل أنّ يخدم مشكلات وقضايا الواقع الاجتماعي. إذ إنّ علم الاجتماع يعمل على فهم وتفسير الدوافع التي تصدر عن الأفراد؛ وذلك من أجل فهم المعنى الذاتي للسلوك الإنساني. لذلك جعل الفرد الفاعل المعيار الأساسي لفهم علم الاجتماع.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم عثمان وسالم ساري. (2010). *نظريات في علم الاجتماع*. الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات: القاهرة.
- أبو علي م. ع. (1978). *مدارس اجتماعية*. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أحمد الأصفر وأديب عقيل. (2002). *علم اجتماع التنظيم ومشكلات العمل*. سوريا: منشورات جامعة دمشق.
- القصير، (أ). ب.ت. (منهجية علم الاجتماع: بين الماركسية والوظيفية والبنوية). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حمداي، ج. (2015). *جهود ماكس فيبر في مجال السوسيولوجيا*. الرياض: دار الألوكة.
- رورو نوري نورالدين ومحمدي كمال). ب.ت. Retrieved 4 19, *SOCIO BOOKS*. from <http://sh-book.blogspot.com>, 2020, التنظيم البيروقراطي عند ماكس فيبر وميشال كروزيه.
- رينتشارد أوبزن ويورن فان لون. (2005). *أقدم لك... علم الاجتماع*. القاهرة: المشروع القومي للترجمة.
- ريكمان، ه. ب. (1979). *منهج جديد للدراسات الإنسانية: محاولة فلسفية*. بيروت: مكتبة سكاوي.
- زايتان، إ. (1989). *النظرية في علم الاجتماع*. الكويت: ذات السلاسل.
- صديق، ح. (2011). *الاتجاهات النظرية التقليدية لدراسة التنظيمات: عرض - وتقييم*. مجلة دمشق، 4+3، p.
- عدنني، إ. (2013). *سوسيولوجيا الدين والسياسة عند ماكس فيبر*. بيروت: منتدى المعارف.
- غدنز، أ. (2005). *علم الاجتماع*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- فلوري، ل. (2008). *ماكس فيبر*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- فياض، ح. أ. (2018). *نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر: دراسة في علم الاجتماع التأويلي*. ب.م: مكتبة نحو اجتماع تربوي.
- فيبر، م. (2011). *مفاهيم أساسية في علم الاجتماع*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ليلة، ع. ب.ت. (بناء النظرية الاجتماعية). مصر: المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
- مجموعة مؤلفين. (2002). *قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع*. مصر: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.

محمد م. ع. (1983). *المفكرون الإجماعيون: قراءة معاصرة لأعمال خمسة من أعلام علم الاجتماع الغربي*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

ميل تشيرتون وأن براون (2012). *علم الاجتماع: النظرية والمنهج*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.

References:

- A group of authors (2002), *Contemporary Readings in Sociology Theory*, Publications of the Center for Research and Social Studies, Egypt.
- Abu Ali, Muhammad Abdullah (1978), *Social Schools*, Egyptian General Book Authority, Alexandria.
- Adenni, Ikram (2013), *Sociology of Religion and Politics on Max Weber*, Knowledge Forum, Beirut.
- Ahmad Al-Asfar and Adeeb Aqeel (2002), *Sociology of Organization and Work Problems*, Damascus University Press, Syria.
- Al Qusayr, Ahmad (no date), *Methodology of Sociology: Between Marxism, Functionalism and Structuralism*, The General Egyptian Book Organization, Cairo.
- Fayyad, Hosam El-Din Mahmoud (2018), *Max Weber's Theory of Social Action: A Study in Interpretive Sociology*, A Library Towards an Educational Meeting, Without a Place.
- Friend, Hussain. (2011), *Traditional theoretical trends for the study of social organizations: Presentation - and evaluation*, No. 3 + 4, Volume 27, Syria.
- Godens, Anthony (2005), *Sociology*, Arab Organization for Translation, Beirut.
- Hamdaoui, Jamil (2015), *Max Weber's efforts in the field of sociology*, Alukah, Riyadh.
- Ibrahim Othman and Salem Sari (2010), *Theories in Sociology*, United Arab Marketing and Supply Company, Cairo.
- Laurent, Florey (2008), *Max Weber*, New Book United House, Beirut.
- Layla, Ali (no date), *Building a Social Theory*, Egyptian Library for Printing, Publishing and Distribution, Egypt.
- Melcherton and Anne Brown (2012), *Sociology: Theory and Methodology*, National Center for Translation, Cairo.
- Muhammad, Ali Muhammad (1983), *the Social Thinkers: A Contemporary Reading of the Works of Five Notables of Western Sociology*, The Arab Renaissance for Printing and Publishing, Beirut.

-
- Richard Aubzon and Born Van Loon (2005), *I present to you... Sociology*, The National Project for Translation, Cairo.
 - Rickman, H. B. (1979), *a New Approach to Human Studies: A Philosophical Endeavor*, Skawi Library, Beirut.
 - Roro Nuri Nur al-Din and Muhammad Kamal (undated), *bureaucratic organization by Max Weber and Michel Kousorbe*, Socio books, <http://sh-book.blogspot.com>
 - Weber, Max (2011), *Basic concepts in sociology*, Egyptian General Book Authority, Cairo.
 - Zaitan, Irving (1989), *Theory in Sociology*, with chains, Kuwait.